نبأ من اليابان

اخلاق امبراطورها

كل ما ننشرهُ من اخبار اليابان الموثوق بها انما نقصد من نشرهِ العظة والذكرى. وقد عثرنا الآن على مقالة في اخلاق امبراطور اليابان بقلم البارون سوماتسو احد وزرائهِ السابقين نشرها في مجلة لندن فاقتطفنا منها ما يأتي تذكرةً لمركنا وامرائنا . قال الكاتب ما تعريبهُ

ان كلمة ميكادو لقلب يطلقهُ الاجانب عادة على امبراطورنا وهي لفظة يابانية ولكن اليابانيين قلما يستعملونها والغالب انهم يستعملون كلمة تنو هيكا ومعنى تنو امبراطور ومعنى هيكا جلالة . ويلقَّب في الكتابات الرسمية بلقب كوتاي اي الامبراطور . واسمهُ الخاص مُتسوهيتو

وليس للعائلة المالكة في اليابان اسم خاصٌّ بها مثل بيت رومانوف في روسيا وبيت هبسبرج في النمسا وبيت هوهنزولرن في المانيا لان اسرتهُ قديمة جدًّا تسلطت على بلاد اليابان قبلما تسمت الاسر باسماء خاصَّة بها

رقي عرش الملك منذ سبع وثلاثين سنة وذلك في ١٣ فبراير سنة ١٨٦٧ وأُلغي حينئذٍ النظام الاقطاعي من بلاد اليابان وسمي العصر الجديد الذي يبتدئ من ذلك التاريخ بعصر الميجي اي عصر الاستنارة او عصر الحكم المستنير وتطلق كلمة ميجي على كل سنة من سني ملكهِ فيقال الميجي الثالثة او الرابعة يعني السنة الثالثة او الرابعة من ملكهِ

وقد كان عمرهُ ست عشرة سنة لما توفي ابوهُ وكانت البلاد في اشد الاضطراب فخاض الثار قبلما جلس على عرش الملك فان وقعة دموية شديدة وقعت في مدينة توكيو قبل جلوسهِ وخيَّم رصاص البنادق على قصرهِ قبلما استتبَّ لهُ الامر فيهِ . فلم يكن من الامراء الذين ربوا في النعيم ورقوا سدَّة الملك آمنين . وهو لا يمتاز على غيرهِ من امرائنا من هذا القبيل فانهم كلهم يربون تربية صارمة تعوِّدهم تحمُّل المشاق والابتعاد عن الترفُّه والتراخي . وهو آية في الذكاء والاجتهاد فيكثر من المطالعة والدرس ولذلك تراه مطَّلعًا في كل الامور ولهُ الملم بكل شيء

ولما رقي عرش الملك كان حولهُ كثيرون من كبار رجال السياسة ودهلتها ولا سيما اثنان كان ينظر الى كل منهما نظر الولد الى والدهِ والتلميذ الى معلمهِ وهما البرنس سنجيو والبرنس ايواكورا والثاني منهما أُنفذ سفيرًا الى اوربا واميركا منذ ثلاث وثلاثين سنة والاول توفي منذ ١٦ سنة والثاني منذ ٨ سنوات . و بارشاد هذين الوزيرين وغيرهما من الرجال العظام

الذين ارتقوا في زمن الثورة الاهلية بعد ان درسوا في اوربا واميركا وعلموا الآراء الاوربية الحديثة تشرَّب منهج الحكم الدستوري واصوله التي يُبنى عليها فقلب ادارة البلاد من الحكم الاستبدادي المطلق الى الحكم الدستوري المقيَّد

وليس من غرضي الآن ان اذكر كل ضروب الاصلاح التي شملت فروع الادارة المختلفة في عهده لان ذلك يقتضي مجلدات كبيرة وانما اقول ان امبراطورنا مثال الحاكم الدستوري فهو على ذكاء عقله وسعة اطلاعه لا يستبدُّ برأيه ولا يحاول ان يغلِّب رأيهُ على رأي رجال حكومته بل شأنهُ التوفيق بينها وبين مصالح مملكته واذا رأى جَلَبة لا يحسن الاصغاء اليها ولا هي في مصلحة بلاده عرف كيف يتجنبها ويغلِّب الحكمة والسداد على الطيش والتهوُّر

يقوم في الصباح كل يوم ويجلس في مكتبه الى ما بعد الظهر ينظر في شؤون المملكة المختلفة . وهو على تمام الخبرة بها ولا سيما الحربية والبحرية . ولا يوقع امرًا قبلما يطالعهُ ويناقش وزراءهُ فيه وقد يبين لهم انهُ ناسخ او مناقض لامر آخر سابق لهُ ولذلك يشعر وزراؤهُ انهُ اخبر منهم في شؤون المملكة فيبذلون الجهد في البحث والتحري قبلما يعرضون عليه امرًا

ويطالع بنفسه كثيرًا من جرائد بلاده فلا يخفى عليه امر هامٌّ مما يُذكر فيها ولكنهُ لا يهتم بشيء يرجف به المرجفون . فيميز الغث من السمين حالاً ولا يُخدَع بما كاذيب الوشاة اذا اتهَّموا احدًا من رجاله وهو يعلم اخلاصهم لبلادهم . ويهتمُّ اهتمامًا شديدًا بما يجري في الممالك الاخرى لكي يستفيد منهُ ما يُصلح به حال بلاده

وهو القائد العام للجنود البرية والبحرية ولقد كانت القيادة العامة لاسرته قبلما غلبها الشوغن على امرها واستقلَّ بادارة الجيوش تاركاً لها السلطة الاسمية . وكثيرًا ما كان اسلافهُ يخرجون الى الحرب ويقودون الجيوش بانفسهم بل كثيرًا ما كانت الملكات انفسهنَّ يخرجن الى الحرب في قيادة الجيوش فلما ثلَّ عرش الشوغن عادت قيادة الجيش الى الامبراطور . ولا يجري استعراض كبير في البلاد الاَّ وهو مشارك فيه فيركب جواده يومًا بعد يوم او يقف على رابية يطلع منها على حركات الجيش ولو تحت المطر ولا يستظل بمظلة

وهو مغرم بالخيل وركوبها وتراهُ يبذل جهدهُ في حمل رجاله على الاهتمام بتربية الصوافن الجياد وعلى المنافسة بركوبها وفي ضواحي يوكاهاما ميدان لسباق الخيل يحضرهُ بنفسه ترغيبًا للناس في اقتنائها

وهو من الشعراء المعدودين وقد ينظم اربع قصائد او خمسًا في اليوم لتوقد قريحته . ونَظْم الشعر معدود في بلاد اليابان من كمالات الملوك والامراء . ولا ينشر من اشعاره الاَّ ما كان

منها في موضوع وطني عام كقولهِ ما ترجمتهُ

"كلما فتحت كتب الاوائل فكرت في احوال الشعب الذي املكهُ"

وشعر من هذا القبيل لا بدّ ان يزيد تعلّق رعيتهِ بهِ ولقد ظهر هذا التعلق على اشدهِ في الحرب الحاضرة . والملك والمملكة شيء واحد في عرف اليابانيين فكل من يحب بلادهُ يحب ملكها ايضاً وحب الوطن والولاء للملك شيء واحد عندنا

وهو مثل سائر الناس من حيث الاميال الشخصية ولكنهُ يتسلط على اميالهِ ولا يدعها تقف في سبيل ما يجب عليهِ لبلادهِ حينما يختار وزراءهُ او يقيلهم . وخلاصة القول انهُ يعرف ما يجب على الملك الدستوري ويعمل بهِ وليس عندهُ باب للصنيعة يدخل منهُ احد وهذا امر معروف مشهور في البلاد كلها طولاً وعرضاً فلا يتجاسر احد ان يطلب منهُ شيئاً مهما كانت دالتهُ عليهِ ولكن اذا خدم احد وطنهُ خدمةً صادقة فهو اول من يعترف لهُ بهذه الخدمة . ومن امثلة ذلك انهُ عاد البرنس سنجيو والبرنس ايواكورا في منزليهما قبلما توفيا وذلك تنازل عظيم جداً في بلاد اليابان وان لم يظهر كذلك في اوربا . ومنها ان سيغو الاكبر كان من اعاظم الرجال الذين خدموا بلادهم ثم انضمّ الى الثائرين ونشر معهم راية العصيان ومات زعيماً لهم وعرف الامبراطور ان الرجل مخلص في عملهِ ولو كان مخطئاً وغرضهُ خدمة وطنهِ لا غير فعفا عنهُ وعن غيرهِ من المشاركين لهُ في العصيان حينما سنّ الدستور ثم انعم على ابنهِ بلقب مركيز اعترافاً بخدم ابيهِ السابقة . ومنها انهُ منح لقب برنس لواحد من بيت الشوغن كان من جملة زعماء العصاة لانهُ بلغهُ انهُ لم يتطرّف في مقاومتهِ بل كان ميّالاً الى المسالمة . وذلك من الامثلة السائلة على رحب صدرهِ وحسن نظرهِ . وهذا البرنس يرئس الآن مجلس الاعيان وقد درس في انكلترا منذ اكثر من عشرين سنة ولا يزال مذكوراً فيها وهو الآن من اشد الناس ولاءً للعرش الامبراطوري . ولذلك لم يبقَ في بلاد اليابان اثر للسلطة التي كانت مناظرة للسلطة الامبراطور

والامبراطور يدين بالديانة الشنيتة ديانة آبائهِ واجدادهِ ولكنهُ اطلق الحرية لكل رعاياهُ ليدينوا كما يشاؤون

وهو على حبهِ للحرية والبحرية لا يرغب في الحروب والفتوح وانما رغبتهُ متجهة الى تنشيط العلوم والفنون وتراهُ يرسل خواصهُ الى المعارض الفنيّة ليبتاعوا لهُ تمّا يعرض فيها تنشيطاً لاصحابها وقد يزورها بنفسهِ وهو والامبراطورة زوجتهُ والاّ فلا بدّ من ان يزورها احد اعضاء العائلة الامبراطورية بالنيابة عنهما . وعندهُ اراض واسعة للصيد يدعو الخواص اليها ليصطادوا فيها . وانشأ عيدين وطنيين عيد زهر الكرز وعيد زهر الاقحوان احدهما في الربيع والآخر

في الحرب وهو يدعو فيها كثيرين من الاهالي والاجانب رجالاً ونساء الى اجتناء الملكية في هما واكتسابها ويحضر اليها بنفسهِ هو والامبراطورة واهل البلاط

ومما يعني بهِ ايضاً الاعمال الخيرية وما يُخلَّد بهِ مجد الوطن فقد جعل جمعية الصليب الاحمر تحت حمايتهِ الخاصة وحماية الامبراطورة وانشأ دارين تجمع فيهما غنائم الحروب كالآثار التي غنمها اليابانيون من بلاد الصين والاعلام التي مزقها الرصاص ولم يطرحها الجنود من ايديهم وصور القواد والضباط والجنود الذين استبسلوا في خدمة وطنهم ويُسمح لتلامذة المدارس ان يزوروا هذين المعرضين دواماً لكي يشبوا على حب المجد والفخار وكل ما يعلو بهِ شأن الوطن

حقيقة الدين

من عهد ايزيس وايزيريسا قبل المسيح وقبل شرعة موسى
بل قبلَ ذاكَ الناسُ دانوا بالذي دانوا وقد كانَ المجوس مجوسا
دان الفراعنُ قبل موسى وارتدى بالدينِ بوذا قبل مظهر عيسى
مذ كان خلقُ الناس كان الدين في ارواحهم متأصلاً مغروسا
فمضوا بهِ شتّى المذاهب شُرَّدًا يتخبطون دجنَّةً ديموسا
كثرت لهم وتجنَّست اربابهم فلو استوت جيشاً لكان خميسا
ما زال حبُّ الذاتِ يعمل فيهمِ حتى ادَّعوا للوكيم تقديسا
فأبوا لهم الاَّ النبوة منزلاً وأبوا لهم الاَّ التألُّهَ خيسا
واذا بلغتَ من الخبيء رأيتَ ما عبدوهُ شيئاً واحداً تأسيسا
رمزوا بهِ عن جوهرٍ متنزهٍ يحتاط ارواحاً لهم ونفوسا
فتصوروهُ لهبةً مشبوبةً وتخيلوهُ اشعةً وشموسا
ورأوا بهِ عظم العظائم كلها والحسن اجمع والحجى والبوسا
فالزهرة الحسنا وميليتا وعشتاروت والعزّى الى ايزيسا
هُبَلُ وبعلٌ قبلهُ وامون مع ديسارس نينوس مع جاويسا
والشمس والقمر المنير والنجم سعطت ونيران تشبُّ قبوسا
هي رمز شيءٍ واحدٍ ولو انهم قد اكثروا التنويعَ والتجنيسا
معناهُ أنَّ وراء عالمك علةً ما زال فهمك دونها محبوسا